المنجزات العلمية والتعليمية لحاضرة مازونة خلال الفترة العثمانية للجزائر.

د/جلول دواجي عبد القادر.

قسم الأدب العربي-جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف-الجزائر.

البريد الالكتروني: dawajiaek@gmail.com

عنوان الورقة البحثية: المنجزات العلمية والتعليمية لحاضرة مازونة خلال الفترة العثمانية للجزائر.

المحور المختار: المحور الثالث: المخرجات الحضارية للحواضر العلمية في الغرب الإسلامي.

الملخص: استهل الملخص بمقولة موافقة للسياق والمقام والعنوان ومحتوى الملتقى للإمام عبد الحميد بن باديس -رحمه الله-حين يرهن صلاح الأمة بصلاح التعليم، فيقول: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله...، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يصبغ المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره".

عرف الغرب الإسلامي حواضر علمية سامقة في مجال العلم والفنون، ولقد كانت مدن: تلمسان وبجاية ومازونة قلاعا من قلاع العلم ومراكز لأكبر المعاهد العلمية والتربوية في الجزائر في العهد العثماني تخرج منها علماء عظام في فنون العلم كاللغة والنحو والفقه والأدب والبلاغة....

تجيب ورقتنا البحثية هذه عن الدور العلمي والتعليمي الذي عرفته حاضرة مازونة بالغرب الإسلامي ومدرستها الشهيرة والتي كانت مثلا يحتذى به في مختلف فنون العلم ومنهج الأخذ والتعليم وكانت أنموذجا يحتذى به في الشق الآخر من المشرق الاسلامي إلى درجة أن الذي يذهب لطلب العلم في الشام أو مصر أو العراق يقال له: "هل درست بمازونة؟؟"، فيجاز مباشرة وإلا فلا، وبتعبيرنا اليوم يقبل مباشرة في معاهدهم وجامعاتهم ان أجاب بالإيجاب وإن أجاب بالنفي فلا يقبل ويرد حتى ينال إجازة من مثل الإجازة التي كانت تمنح في مازونة.

ومما يبرهن عن أهمية مدرسة مازونة الفقهية ما جاء على لسان أبي راس الناصر قال: سألني الشيخ محمد بن لبنة عن وجهتي، فقلت له ذاهب إلى مازونة، قال لم؟ قلت: لقراءة الفقه، فقال: والقرآن؟ فقلت له: نعرفه بأحكامه وأنصاصه وما يتعلق به، فحفظت في مازونة مختصر خليل وفهمته معنى ولفظًا في عامي الأول، ثم قرأت للطلبة الفرائض...

تطرح المداخلة بعض التساؤلات من مثل: ما الأسرار التي جعلت من حاضرة مازونة ومدرستها فضاء يبلغ صداه أمصار الشرق الإسلامي وما هي الطرق والمناهج التعليمية التي كانت تعتمدها المدرسة

آنئذ والنظام التعليمي الذي جعلها تتبوأ مكانة عالية في العلم وتستحق فعلا لقب بلدة العلم والعلماء بامتياز، ولَقَب: أم الأحكام المكنونة؟.

أولا-التعليم في العهد العثماني:

المطلع لتاريخ الجزائر العثماني يتبدى له أن الجزائر وبالضبط في النصف الثاني من القرن السادس عشر كانت مقسمة إلى أربعة أقاليم إدارية أو بايلكات وهي على التوالي:

- دار السلطان: وتمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا.
- بايلك الشرق: كان مركزه قسنطينة.
- بايلك الغرب: وقد استقر مركزه بوهران بعد انتقاله من مازونة ثم معسكر.
- بايلك التيطري: ومركزه المدية ويعتبر أصغر البايلكات وأفقرها وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية.

إن بايلك الغرب لم تكن عاصمته مستقرة بمكان واحد، مقارنة مع البايلكات الأخرى، فقد كانت منطقة مازونة في البداية عاصمة له عام 1563م إلى غاية 1700م ثم تحولت العاصمة إلى معسكر سنة 1701م ثم إلى وهران في الفتح الأول سنة 1708م، ثم مستغانم سنة 1732م بعد ذلك عاد المقر إلى معسكر ثانية سنة 1737م، و أخيرا انتقل إلى وهران بعد الفتح الثاني سنة 1792م، وإذا كانت البايلكات الأربعة محدودة بحدودها الجغرافية ، فإنه كان على رأس كل بايلك بايا يعينه السلطان " لقد كان الباي صاحب السلطة السياسية الأولى على المنطقة و هو المسؤول الأول أمام الحكم المركزي ، حيث إن هذا الأخير هو الذي يقوم بتعيين البايات وتنصيبهم".

لقد شجع العثمانيون انتشار حركة التعليم وتركوا الميدان مفتوحا للأفراد والجماعات يقيمون ما يشاءون من مؤسسات دينية أو تعليمية. لأن الجزائريين والعثمانيين أصبحوا تحت راية الإسلام، واستنجاد الجزائريين بإخوانهم العثمانيين كان عن قصد، فكان لهم "ذلك الدور البطولي الذي قاموا به - أي العثمانيون - خلال عصر الانحلال والتدهور والغزو المسيحي في قيادة الشعب، وشد أزره ضد العدو المهاجم، وما اضطلعوا به تحقيقا لرغبة الشعب من تأسيس الدولة، ومقاومة المهاجم إلى أن أبعد نهائيا عن أرض الوطن، وجمع الوحدة الوطنية الجزائرية الإسلامية ضمن دولة واحدة وحول عاصمة واحدة وتحت راية واحدة رغم أنف الإقطاعية الطاغية ... و إذا ما ذكرنا الدولة الجزائرية، والوطن الجزائري، فقد ذكرنا الأتراك العثمانيين سواء أكنا من المعترفين أو من الجاحدين".

ولكن ما يميز هذا العهد هو أن بعض الحكام العثمانيين كانت لهم إسهامات في تشجيع بناء المدارس، وتكريم العلماء وتقريبهم بسبب مساهماتهم المختلفة، ومن بين الذين شجعوا ازدهار التعليم الداي محمد عثمان باشا (1766م-1791م)، وصالح باي باي قسنطينة (1725-1795)، ومحمد الكبير باي إقليم الغرب (1779-1796)، حيث أنشأ صالح باي مدرسة الكتانية، وألحق بالجامع الأخضر مدرسة، وأمر محمد الكبير بتوسيع رقعة التعليم ومنح جوائز للبعض من أهل الفكر.

وإذا كانت الأقلية التركية تتكلم اللغة التركية فإن ذلك لم يفقد من أهمية اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية ولا ذهبت العادات والتقاليد وبقي المجتمع محافظا على ثقافته ونسيجه الاجتماعي "فبالرغم من كون الأتراك كانوا يتكلمون لغة تركية ولهم ثقافتهم الخاصة، فإن الثقافة العربية لم تفقد وظيفتها في الإدارة التركية سواء في المحاكم الشرعية أو التعليم و غيرها من المرافق التي لها صلة بحياة المواطنين وخلال ثلاثة قرون لم يحاول الأتراك فرض اللغة التركية على الأهالي كما أنهم لم يكونوا مدارس خاصة بأبناء الأتراك لتعليم اللغة التركية، بل إن أحمد باي كاتَب السلطانَ باللغة العربية".

ومن هنا فإن العهد العثماني امتاز بازدهار ورقي الحركة العلمية والتعليمية والتي ارتبطت بالتعليم الديني أساسا، لأن العثمانيين لما جاءوا وجدوا حواضر علمية مزدهرة ببجاية وتلمسان وقسنطينة ومازونة والجزائر وغيرها، إلا أنه نظرا لظروف سياسية ومخاوف عسكرية نقلت كثير من هذه المراكز من المدن إلى الأرياف.

يقول المهدي البوعبدلي: (إن العصر العثماني امتاز في الجزائر بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى القرى، واشتهرت عدة معاهد إذ ذاك في كامل القطر، كمعاهد بني يعلى العجيسي، عبد الرحمن اليالولي ... وبني خليل، والمدية ومعاهد الراشدية ومازونة ...).

وبتعدد هذه المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية على اختلافها وتنوعها في المدن والأرياف نقصت الأمية من أوساط المجتمع إلى نسبة قليلة، وساهمت في تكوين أجيال مثقفة، ويشير المؤرخ أحمد توفيق المدني إلى أن "الأمية كانت في القطر الجزائري أثناء تلك الفترة (الفترة العثمانية) أقل مما هي عليه الآن، فهم يقولون إن الأمة الجزائرية لم يكن عددها يومئذ إلا نحو ثلاثة ملايين من الأنفس، ويقولون إن القطر الجزائري كان يشمل نحوا من ثلاثة آلاف كتّاب ومسجد ومدرسة وزاوية لتعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة، فلو فرضنا أن كل كتّاب ومدرسة وزاوية لم يكن يشمل إلا عشرين فقط من الطلاب، وجدنا عدد الطلبة يومئذ ستين ألفا...".

وفي هذه الظروف والتحولات السياسية التي عرفتها الجزائر خلال القرون الثلاثة من الحكم العثماني لم تخمد حركة التأليف والكتابة والتدوين، رغم انعدام وسائل الطبع ودور النشر وآلات الكتابة والنسخ، ولقد خلد علماء وكتاب ومعاصرو الفترة العثمانية كتبا ومخطوطات و محفوظات ضاع جزء

منها، وظهر الجزء الآخر الذي كان مغمورا في خزائن المهتمين، ولا يزال الجزء الكبير في حقائب وخزائن الكثيرين من محتكري العلم، وهو يتدهور يوما بعد يوم بسبب مفسدات الإنسان والطبيعة والزمن.

ومن جملة ما وصلنا من المؤلفات العلمية والثقافية والدينية في الجزائر العثمانية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: "لقد ألف بن ميمون للفتح الأول كتابه (التحفة المرضية في الدولة البكطاشية)...، وكتب محمد المصطفى بن عبد المعروف بابن زرقة مؤلفه (الرحلة القمرية في السيرة المحمدية)...، وكتب ابن سحنون الراشدي مؤلفه الجماني (في ابتسام الثغر الوهراني)، وكتب بن هطال التلمساني مؤلفه (رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الوهراني"، كما كتب "عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي (بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر"، وكتب أبو عمران موسى أبو عيسى المغيلي مؤلفات عديدة أشهرها "ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار" و(الرائق في تدريب النشء من القضاة و أهل الوثائق) و(حلية المسافر) "، وكتب أبو زكريا بن يحي بن أبي عمران المغيلي "الدرر المكنونة في نوازل مازونة "، وكتب أبو العباس الونشريسي "المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقيا و الأندلس و المغرب"، دون أن ننسى ما كتبه محمد أبو راس الناصري.

وقد قسّم الدكتور سعد الله العلماء خلال العهد العثماني إلى ثلاثة أصناف: "العلماء الموظفون (كتّاب الإنشاء أو الخوجات)، والفقهاء المستقلون(المثقفون الأحرار) الذين لا صلة لهم بالتصوف ولا بالسلطة، ثم العلماء المتصوفة، أو المتصوفة دعاة العلم والولاية (المرابطون).

<u>ثانيا: حاضرة مازونة: تاريخها وأعلامها:</u> مدينة مازونة مدينة عريقة تعتبر قاعدة تاريخية هامة في قلب جبال الظهرة، كانت ملتقى لعناصر مختلفة وحضارات متعددة، وصفت منذ القدم بمدينة العلم والثقافة، وسميت بأم الأحكام المكنونة، لقد امتدت بتاريخها إلى جذور الحضارات القديمة فكانت منارة العلم ومنهل الحضارة.

إن الباحث في تاريخ المدينة يصطدم بشح المادة التاريخية والمصادر حولها، فكل الذين كتبوا في هذا الموضوع ما هو سوى إعادة وتكرار لما جاء في كتابات مولاي بلحميسي ويوسف لوكيل، وهما ابني المدينة ومختصين في التاريخ الإسلامي، فالأول كتب باللغتين الفرنسية والعربية، وهو مؤرخ حصيف، تخرج على يديه علماء كثر في المجال، وأثرى المكتبة بمادة تاريخية ثرية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، خصوصا كتابه المعنون بـ: (مازونة مدينة صغيرة وتاريخ كبير)، وأما يوسف لوكيل فكتب بالفرنسية كتابا قيما مجبر كل من يتحدث عن تاريخ المدينة العودة إليه، رغم صغر حجمه سماه: (مازونة عاصمة الظهرة القديمة)، أما من كتب عن المدينة من كتب ومقالات وأبحاث ورسائل أكاديمية فما هو في الحقيقة سوى اجترار لما كتبه الرجلان.

هناك عدة روايات حول تسميتها وهذه أهمها:

مازونة تعني أرض الرجال الأقوياء، ومازونة اسم قبيلة من زناتة لأن اسم أبيهم مازون، وقيل مشتقة من كلمة "ماسونة" بلدة رومانية فتحول الاسم اللاتيني ماسونة إلى البربري مازونة.

ويروى أن مازونة كانت تحكمها ملكة لها كنز من قطع نقدية من الذهب تسمى "موزونة"، وأنه كان راع يدعى "ماتع" يرعى بغنمه في المكان الذي تأسست فيه المدينة؛ فرجع إلى أهله يصف. مزايا المرعى، ويقارنه بتلك القطع النقدية التي تسمى موزونة فلقب المكان بمازونة، ويروى أن ملكا حط رحاله بجبال المنطقة وكانت ترافقه ابنته "زونة"؛ فطلب من رجاله أن يحضروا لها الماء، وعندما وجدوا المنبع حرموه على الغير وجعلوه لها، وقالوا هذا ماء زونة، ومنه أخذ اسم المنطقة مازونة، وكلها تبقى مجرد روايات.

تقع مازونة في قلب جبال الظهرة، فنالت إعجاب كثير من الرحالة والجغرافيين القدماء حيث يصفها الشريف الإدريسي بقوله: "هي مدينة بين جبل في أسفل، ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن موفقة ولسوقها يوم معلوم وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصب"، وأما الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف في الدراسات اللاتينية بليون الأفريقي فيقول عن مازونة في رحلته ومعجمه وصف إفريقيا: "مدينة أزلية بناها الأفارقة -حسب قول بعضهم- على بعد نحو أربعين ميلاً من البحر، تمتد على مساحة شاسعة وتحيط بها أسوار متينة، ...، وفيها جامع وبعض مساجد أخرى، لقد كانت مدينة متحضرة جدًّا في القديم ....، حتى أصبحت اليوم (القرن السادس عشر) قليلة السكان، ...، والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلة حسنة".

أما ابن بطوطة فذكرها من دون وصف حيث قال: "فوصلنا... إلى مدينة تنس ثم إلى مازونة ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان"، كما ذكرها العبدري في رحلته قائلا: "ثم رحلنا على طريقنا الأول إلى مليانة فتيمنا منها على طريق مازونة، مثوى خطوب الزمان ومناخ ركاب الحدثان، وهي بليدة مجموعة مقطوعة من بعض جهاتها بجرف واد منقطع شبه قلعة، وواهية حسا ومعنى" .

<u>ثالثا- مساهمات حاضرة مازونة العلمية والتعليمية:</u>

1- النشأة والتأسيس: الداخل للمدرسة تصادفه لوحة تؤكد صحة ما ورد في الوثائق التي اطلعنا عليها والروايات التي استمعنا إليها أي أن تأسيس المدرسة كان خلال القرن الحادي عشر الهجري نحو سنة 1029هـ القرن السادس عشر الميلادي على يد الشيخ محمد بن الشارف وقد أسسها وأقامها من ماله الخاص ودرّس بها حوالي 64 سنة وقبره موجود بها عليه قبة تسمى باسمه.

تقول الرواية الشفوية لأفراد عائلة المؤسس بأنه كان في ملك محمد بن الشارف قطعة أرض باعها لأنها غير صالحة للبناء واشترى بالمقابل قطعة أرض أخرى، وقد اشتراها من ثلاث نساء اللواتي رفضن أخذ ثمنها بعد علمهن بنيته في تأسيس زاوية للتعليم غير أنه أصر على دفع الثمن.

اكتسبت مدرسة مازونة شهرة علمية منذ تأسيسها ولعبت دورا رئيسيا في المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية ليس على الصعيد المحلي فحسب بل على نطاق واسع من القطاع الوهراني وأحوازه حيث إنها استقطبت لمدة طويلة عددا كبيرا من الطلبة الذين جاؤوا من مختلف قرى ومدن الغرب الجزائري وحتى من المغرب الأقصى طلبا للعلم وهو ما كان معروفا عن هؤلاء الطلبة أنهم كانوا يأخذون العلم حيث ما وجدوه وقد كان بعضهم في حركة مستمرة لطلب العلم.

يقول محمد أبو راس الجزائري: "لما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة أشياخها... سافرت إليها فلقيت في المشي على صغري مشقة لكن ذلك شأن السفر للعلم، وكل ذلك أكسب مدينة مازونة ومدرستها العلمية رمزية فكرية وثقافية إذ اعتبرت حاضرة العلم ولقبت بمدينة العلم والعلماء.

وأسس الفقيه العارف محمد بن علي الشارف المازوني مدرسة تربوية بمازونة في بداية القرن الحادي عشر الهجري، وقام بالتدريس فيها إلى أن لقي ربه، ثم تجدد ازدهار المدرسة على يد الشيخ أبو طالب محمد بن علي، في بداية القرن الثاني عشر الهجري، وخلفه على المدرسة أخوان من أبرز تلامذة المدرسة هما: الشيخ محمد بن هني وشقيقه الشيخ عبد الرحمن بن هني.

2- علماء حاضرة مازونة: كثر هم الذين تخرجوا من مدرسة مازونة، لا تكفي هذه الصفحات للإحاطة بهم والإلمام بسيرتهم جميعا، ولكن سأقتصر على التعريف بأبرزهم وأشهرهم، أولئك الذين ملأت شهرتهم الآفاق، وخلّدوا أسماءهم بمصنّفاتهم وكتبهم وأسفارهم، وكوّنوا من التلاميذ من حمل علمهم ونشر ذكرهم، منهم على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- **عبد الرحمن بن محمد بن الشارف** : هو مؤسّس المدرسة الفقهية بمازونة، توفي بمدينة مازونة، وبالضبط لا نعرف تاريخ وفاته.
- **الشيخ علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي ابن الشارف** : وهو ابن الشيخ عبد الرحمن مؤسس المدرسة، وتوفي سنة 1189هـ بمدينة مازونة.
- **الشيخ محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن الشارف** : المعروف بأبي طالب المازوني، وهو حفيد الشيخ المؤسس للمدرسة، توفي الشيخ أبو طالب سنة 1233هـ/ 1818م، بمدينة مازونة عن عمر يناهز مائة وثلاثين (130) سنة، ودامت مدة تدريسه أربعا وأربعين 44 سنة.

4. **الشيخ أبو العباس أحمد بن هني بن محمد بن علي** : وهو حفيد الشيخ أبي طالب المازوني السابق ذكره.

5. **الشيخ محمد الصادق بن فغول:** كان من العلماء الأجلاء بارعا في فنون عها، مقدما في معرفة الحديث على أقرانه، كما كان خبيرا بعلم الشريعة يجمع بين العلم والدين.

6. **يحيى بن موسى أبو عمران ابن عيسى بن يحي، أبو زكريا المغيلي المازوني** : وهو فقيه مالكي من أهل مازونة من أعمال وهران، ولي قضاء بلده، توفي بتلمسان سنة 883هـ/ 1478م، له (الدرر المكنونة في نوازل مازونة)،

قال عنه أحمد بن يحي الونشريسي صاحب المعيار تلميذ المازوني: "الصدر الأوحد العلامة العلم الفضال ذي الخلال السنية، سني الخصال شيخنا ومفيدنا وملاذنا وسيدنا، ومولانا وبركة بلادنا أبي زكريا سيدي يحيى، وهو من العلماء الكبار الذين تناولوا الفتوى، وأصبحوا مرجعية فقهية، ولم يتوظف بعلمه عند السلطة، وكانت فتاوى المعيار والمازوني دائرة على فقه مالك بن أنس، لأنه المذهب الذي كان يتّبعه جميع السكان باستثناء أتباع المذهب الإباضي".

7. **أبو عمران موسى بن عيسى المازوني**: اشتغل قاضيا بمازونة، ويصفه الحفناوي "بالفقيه الأجل المدرس المحقق، القاضي الأكمل، وهو والد صاحب النوازل، ولصاحب الترجمة تأليف في الوثائق سماه: "الرائق في تدريب الناشئ من القضاة وأهل الوثائق".

8. **الحسن بن محمد بن مصطفى المازوني:** ويعرف بابن منزول آغا، من كبار علماء مازونة في وقته، ولم يعرف تاريخ مولده ولا وفاته.

9. **الصادق بن علي المغيلي المازوني** : عالم من فقهاء المالكية، من أهل مازونة التي تعلم بها ثم رحل إلى معسكر، وبعدها رحل إلى المشرق فتعلم بالأزهر الشريف، وبعد عودته تولى القضاء بمازونة، ثم بوهران، لم يعرف تاريخ ميلاده ولا وفاته، غير أنه كان حيا سنة 1247هـ/ 1838م.

3- العلماء الذين درسوا في مازونة: ومن العلماء الذين درسوا بمازونة، نذكر ما يلي:

- الشيخ مصطفى الرمّاصي (ت 1136هـ/ 1724م): نسبة إلى قرية قرب مدينة مازونة، عالم من فقهاء المالكية، تعلم بالمدرسة الفقهية بمازونة، على يد شيوخها وخاصة مؤسسها محمد بن الشارف المازوني، الذي أخذ عنه علم الحديث والفقه المالكي، وأجازه الشيخ في ذلك، ثم رحل إلى القاهرة، حيث أخذ عن علمائها.

وصفه عبد الرحمن الجامعي الفاسي بقوله: "حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره، **من آثاره:** ترك لنا الشيخ الرماصي مجموعة من المؤلفات في جميع فنون العلم.

2. **الشيخ محمد السنوسي (1202هـ/1276م):** هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم، درس علوما مختلفة بالمدرسة الفقهية بمازونة على يد شيخه أبي طالب المازوني، وحفيده الشيخ أبي العباس أحمد بن هني.

3. **الشيخ محمد ابن القندوز (ت 1222هـ)**: درس في المدرسة الفقهية بمازونة سنين عديدة، ثم رحل إلى مصر، توفي عن سن عالية سنة 1222هـ.

4. **والشيخ عدة بن غلام الله (1208- 1283هـ /1747-1866م):** هو عدة بن محمد الميسوم بن غلام الله بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد الخياطي، درس على يد الشيخ أبي طالب محمد المازوني الفقه بالمدرسة الفقهية بمازونة، تولى القضاء في عهد الأمير عبد القادر.

5. **والشيخ محمد أبو راس**: هو الشيخ الفقيه الحافظ المؤرخ، محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الناصر ابن علي ابن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، الراشدي المعسكري الجزائري.

صاحب المؤلفات الكثيرة المختلفة، منها: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، والحلل السندسية، والخبر المعرب وغيرها، أخذ الفقه المالكي وأصوله عن الشيخ أبي طالب المازوني.

6. **والشيخ العلامة الفقيه عبد القادر بن المختار الخطابي المجاهري** : خريج المدرسة الفقهية بمازونة، صاحب كتاب: (الكوكب الثاقب في أسانيد الشيخ أبي طالب)، قرأ بمازونة على عالمها الشيخ أبي راس المازوني، ولعل وفاته كانت سنة 1336هـ بمصر.

7. **السيد محمد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري** : توجه إلى مازونة سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين، واشتغل بالعلوم الشرعية، وحفظ متن الشيخ خليل في مذهب الإمام مالك، وقرأ بعض شروحه، وبعدها توجّه إلى قسنطينة سنة ألف ومائتين واثنتين وأربعين.

ومن خلال هؤلاء النخبة من العلماء والفقهاء، الذين تعلّموا ودرسوا وتفقهوا بالمدرسة الفقهية بمازونة، اكتسبت بهم شهرتها العلمية والثقافية، منذ السنوات الأولى لتأسيسها، وأنها لعبت دورا كبيرا وهاما في المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية بالقطاع الغربي خاصة، وبالقطر الجزائري عامة.

وكثير من هؤلاء وغيرهم منهم من قبل المكوث بالمدينة ومدرستها والتعليم فيها ومنهم من اختار طريق بلدته أو حاضرته أو غيرها بالمشرق أو بالمغرب وعلا شأنه واشتهر بها.

رابعا- المنهج العلمي والتعليمي لمدرسة مازونة إبان الفترة العثمانية:

أ- الجهود التعليمية للمدرسة: اعتنى أهل مازونة كغيرهم في ناحية المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة بالعلوم الدينية بمختلف فروعها، إذ كان الفقه الإسلامي أساس هذه العلوم المعتنى بها، فقد جرى الاعتناء به والعمل على الإفتاء في المسائل اليومية، كما زاد الاهتمام بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والبحث في مسائل الأصول، كما اهتم علماء حاضرة مازونة بتفسير القرآن الكريم، وبعض علوم القرآن وفي مقدمتها القراءات، وبرزت التآليف المتعددة حول مناقب أولياء الصالحين، وكتب التدريب على القضاء وآداب المسافر منذ القرن الخامس عشر.

رغم خطورة هذه الحوادث التي عصفت بالمنطقة فهزت استقرارها وأضنت سكانها، بقيت الجزائر تحت راية الحكم العثماني قبلة للعلم، ومقصد العلماء والطلبة وقطبا لكل راغب في التعلم والتضلع في العلوم الدينية على اختلاف أجناسها من فقه وتفسير ونحو وعقيدة وشعر. فلقد كانت الجزائر

بمدارسها ومساجدها وكتاتيبها وزواياها رائدة في تنشيط الحركة العلمية والثقافية والدينية تضاهي نشاط كل من جامع الزيتونة وجامع الأزهر وجامع القرويين.

لقد عرف التعليم بصفة عامة في الجزائر العثمانية مستويين "المستوى الأول وهو ما يعادل الابتدائي، وكان يتم عبر المدارس الصغيرة أي ما يسمى بالكتاتيب، والمستوى الثاني تشرف عليه المدارس على المستوى الحضري و الزوايا في الأوساط الريفية"، وكان تعليما ذا طابع ديني بحت مرتبط بالحركة الدينية هذه الأخيرة كانت عاملا أساسيا في ثقافة العصر العثماني إذ كان يتخرج من المدارس والزوايا الأئمة والقضاة، والعدول والموثقون إضافة إلى العلماء والشيوخ والفقهاء، فاشتهرت مدرستي المسجد الكبير وابني الإمام بتلمسان، ومدرسة مازونة شرق مستغانم ، وعرفت معسكر التعليم من خلال مدارسها ومساجدها خاصة في عهد الباي محمد الكبير الذي شيد المدرسة المحمدية فأصبحت من أهم المدارس الكبرى، أما مدينتي ندرومة ومستغانم فلم تكن بهما مدارس مشهورة، لكن لعبت المساجد وملاحقها دورا هاما في الحياة الثقافية على المستوى المحلي.

واشتهرت مدينة مازونة بمدرستها العريقة والمتجذرة عبر العصور التي أسسها أحد النازحين من الأندلس وهو "الشيخ محمد بن شارف الأندلسي في نهاية القرن السادس عشر"، وتعدت شهرتها المستوى المحلي إلى المستوى المغاربي، فشدت إليها الرحال وقصدها الطلبة من كل حدب وصوب، لا سيما من مستغانم وتلمسان وندرومة وتنس ومعسكر، وحتى من المغرب الأقصى ودول المغرب العربي والإسلامي وتخرج منها علماء وفقهاء ومفتون مشهورون وبارزون أبرزهم أبوراس الناصري والمغيليان" الأول: أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني صاحب مؤلفات عديدة أشهرها، ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار و الرائق في تدريب النشء من القضاة و أهل الوثائق وحلية المسافر، أما الثاني فهو أبو زكريا يحيا بن أبي عمران المغيلي (ت 1478 م) صاحب كتاب (الدرر المكنونة في نوازل مازونة) ...، وفي الدرر نجد تلك الحكمة الخالدة الصالحة لكل زمان و مكان : فساد الملوك بفساد العلماء، وفساد الرعية بفساد الملوك ".

ولقد أثنى أبوراس الناصري على الدور العلمي و الثقافي للمدرسة، في كتابه (فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته)، وهو سيرة تفصيلية لحياته الذاتية و العلمية إذ يقول في هذا الصدد " ثم سافرت أول صومي لـ (مازونة) مدينة مغراوة ، بناها منديل بن عبد الرحمن منهم أول القرن السادس، فلقيت – على صغري- مشقة المشي لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم ... فحفظت المختصر حفظا، وفهمته معنى ولفظا ...وقد طار صيتي بمعرفتي المصنف و تحقيقه ، في المشارق و المغارب ، ووعدني كل طالب إلى الفقه راغب ، ثم انصرفت من (مازونة) وقدمت إلى (أم عسكر) من مال ولا غيره سوى معرفة الفقه وحده".

كما ساهمت مازونة أيضا مثل تلمسان في تكوين جيل مثقف و نخبة مثقفة و تجدر الإشارة " إلى أن مدرسة مازونة كانت منطلق الحركة السنوسية "، واشتهرت المدرسة بتدريس الفقه و الحديث وعلم الكلام، وقد كانت المدرسة ملتقى العلماء و الطلبة ، ومقر مبادرات فكرية وسياسية ولا سيما عندما كانت عاصمة ومقرا لبايلك الغرب للمرة الأولى (1563 م -1700م) ، ثم "جدد الأتراك بناءها أكثر من مرة - يعني المدرسة – تكريما لشيوخها الذين ساهموا في الجهاد ضد الإسبان، وكان الرباط أمام وهران متواصلا لمضايقة العدو الذي احتل المرسى الكبير 1505 م ووهران 1509 م، و شارك فيه عدد من المازونيين من طلبة ومشايخ ... لقد كانت المدرسة كالزهرة بين الشوك دائمة العطر و الحيوية يستنشقها محبو العلم و المعرفة ... عاصرت مدرسة مازونة ملوكا وأمراء وبايات ودايات وباشوات، وقدموا لها لحسن الحظ الدعم على مختلف الأشكال".

إن منطقة مازونة كانت في العهد العثماني قبلة للملوك والأمراء والرحالين والعلماء والطلبة باعتبارها كانت عاصمة قرابة قرن وخمسين سنة إضافة إلى أن الكثير من العلماء و القضاة والمفتين والأئمة تخرجوا من مدرستها التي كانت تضاهي الأزهر والزيتونة والقرويين في المكانة والأهمية، حتى إنهم إذا أرادوا أن يفتخروا بطالب علم، عظموه ورفعوا من قدره و شأنه بقولهم "لقد درس بمازونة".

عرفت المدرسة منذ تأسيسها ازدهارا حيث قامت بتأدية دورها التعليمي على أكمل وجه من خلال ما كانت تقدمه من مضمون علمي وأيضا من خلال ما توافد عليها وما تخرج منها من طلبة ينتمون إلى جهات مختلفة من الوطن وخارجه.

- **فنون العلم بالمدرسة:**

اختصت مدرسة مازونة بتدريس علوم الدين وعلوم اللغة.

أ- العلوم الدينية: تتمثل في:

1- **الفقه المالكي:** اعتمادا على مصنف خليل المختصر لذلك لقب شيوخ مدرسة مازونة بالخليليين، وتيسيرا لعملية التدريس استند شيوخ المدرسة على بعض الشروح الموضوعية حوله، ومنها شرح محمد الخرشي ورسالة ابن زيد القيرواني إضافته إلى تأليف بعض شيوخ المدرسة السابقين.

ونشير هنا إلى أن هذا الدرس الوحيد الذي استمر الشيوخ في تدريسه إلى غاية اندثار المدرسة وقد عرفت عملية تلقينه خلال هذه المرحلة خضوعا عمليا أدى إلى حظر التعرض لبعض الدواوين التي يؤثر تدريسها على مصالح الاستعمار والاقتصار على تلقين بعض الدواوين التي تتعلق بالعبادات والمعاملات التي تضمن فكرة الخضوع والاعتقاد الديني في سلطة عليا.

ومن هنا اتخذ مصنف خليل بانتمائه إلى الدين وارتباطه بالجد المؤسس للمدرسة والعائلة طابع القداسة حتى أنه مثل عنصرا هاما من عناصر الرأسمال الثقافي والتعليمي.

وقد قسم مختصر خليل إلى أربعة كتب قسم كل منها إلى أجزاء، وهي:

-كتاب الصلاة قسم إلى خمسة أجزاء.

-كتاب الزكاة قسم إلى أربعة أجزاء.

-كتاب البيوع قسم إلى تسعة عشر جزءا.

-كتاب الإجازات قسم إلى اثنتي عشر جزءا.

أما تدريسه فكان كل شيخ يتناول كتابا معينا وقد يتناول شيخ كتابين أو أكثر ومن هنا بدأت ظاهرة التخصص في التدريس تدريجيا ومن شدة اهتمام مشايخ المدرسة الفقهية كان من المهم أن يدرس هذا العلم لوحدة خلال السنتين الأوليتين للطالب، وتتم عملية استيعابه عن طريق الحفظ والاستظهار التي يتبعون فيها القراءة الجماعية بعد كتابة النص على اللوح.

ومن أسباب عناية أهل المغرب بالمذهب المالكي وانتشاره في المغرب الأوسط: سببين اثنين:

أحدهما: ناتج عن ظاهرة اجتماعية وهي أن إفريقية وبلاد المغرب في هذا العهد كانتا في حاجة ماسة إلى مباحث فقهية دينية تنظم شؤون البلاد الاجتماعية تنظيما محكما، وتربط بين مختلف طبقاتها المتفككة منذ العهد الجاهلي إلى ما بعد الإسلام، فكان مدعاة إلى تعاطي هذه العلوم الدينية أكثر من غيرها.

ثانيهما: الظاهرة النفسية الملحوظة وهي أن الأمازيغ لما اعتنقوا الإسلام ووجدوا فيه ما يكتنف المسلم في مختلف مجالاته منذ صغره إلى كبره، وما يواجهه في سلوكه الأخلاقي ويصحح علاقته بالإله والكون وبالعالم الآخر وما يواجهه في شؤونه المدنية والقضائية والدولية وغيرها آمنوا بأن العكوف على دراسة القرآن والسنة أو ما يندرج تحت مفهوم العلوم الدينية هو الأساس وهو الجدير بالعناية.

وكان لهذا الاتجاه الفقهي النشيط وللحماسة التي تحلى بها الفقهاء نتائج باهرة في كثرة المتفقهين، وفي وفرة التآليف الفقهية وتأثير الفقهاء على المجتمع ومختلف طبقاته حتى كان الفقيه رجل قانون وإماما ووالیا يحترمه الخاصة والعامة، ويستفتونه في أحكامهم، ويستعينون به على حل مشاكلهم.

ويقول القاضي عياض: "واختلف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب عن مذهب أبي حنيفة وغيره إلى مذهب مالك السلفي. فقال ابن خلكان: إن المعز بن باديس هو الذي حمل أهل المغرب على مذهب مالك وحسم مادة الخلاف في المذاهب، واستمر الحال من ذلك الوقت إلى الآن".

وبذلك بقي المذهب المالكي صامدا ولم يستطع أحد أن يمحوه من المغرب العربي عامة والمغرب الأوسط خاصة، رغم ما قصده البعض منهم من السعي إلى محوه وإزالته من المغرب مرة واحدة، حتى أنه سئل أحدهم وقد ترك مذهبه وتمذهب بمذهب مالك فلما قيل له: أنت رجل عالم وفقيه قدير متمكن في الفقه ضليع فيه، لما تركت مذهبك، ولجأت إلى فقه مالك مع أن المذاهب كلها من نور

النبوة تلتمس؟ فقال: ما قلته صحيح إلا أني أقول لك: إني درست المذاهب كلها فوجدت أقربها إلى الفطرة السليمة، وإلى السنة الصحيحة وروحها هو فقه مالك بن أنس؛ لأنه نشأ في دار الهجرة

لقد كانت لشخصية مالك بن أنس صاحب المذهب المتميز أبلغ تأثير في تحبيب مذهبه إلى الناس عامة والمغاربة خاصة، فبالإضافة إلى كرم أخلاقه ومحبته للناس والتواضع لهم، وتهيبه الشديد من الفتوى وتحريه لما ينقل ويرويه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، كانت لعنايته بالطلبة المغاربة أبلغ تأثير على انتشار هذا المذهب بالمغرب الإسلامي، وليس أدل على ذلك من تلك الواقعة التاريخية التي نقلت عنه عندما جاءه كتاب ابن غانم يوصيه بعبد الله بن أبي حسان، فأكرمه حتى قال عبد الله: "فلم أزل عنده مكرما"، وأما الطلبة المغاربة فلم يكن يزدريهم كما فعل زفر بن الهذيل تلميذ أبي حنيفة الذي كان يزدري عبد الله بن فروخ، بل كان يثني عليهم، ويقول: "إن أهل الأمن والذكاء والعقول من أهل الأمصار الثلاثة: المدينة ثم الكوفة ثم القيروان"؛ فكان لسلوكه هذا الأثر الحسن في نفوس المغاربة.

وأيضا التشابه بين بيئتي الحجاز والمغرب من الناحية الاجتماعية، وهذا ما عبر عنه ابن خلدون عند الكلام عن بداوة أهل الحجاز ونظرائهم من أهل المغرب، حيث قال: "وأيضا فالبداوة التي كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب

2- **علم التوحيد:** عمد الاستعمار إلى إلغاء مادة التوحيد من المحتوى التعليمي للمدرسة وكان الهدف من ذلك القضاء على التعليم الإسلامي، وبالتالي ضرب الهوية الدينية إضافة إلى أن التوحيد كعلم ديني يتضمن في محتواه المعرفي وحدة الخالق كما أنه عامل جوهري في الثقافة العربية، ومصدر من مصادر القوة والمقاومة وفي ذلك يقول أرنست رينان" إن الصفة الأساسية التي تميز العرب عن غيرهم هي الإيمان بالتوحيد وكان التوحيد منطلقا للثقافة العربية وإلى الوحدة، وحدة اللغة ووحدة التاريخ.

لكن ورغم ذلك الإجراء الإلغائي لعلم التوحيد من حركة التعليم بالمدرسة إلا أن الشيوخ استمروا في تدريسه لكن دون أن تعقد له الحلقات العلمية بل كان يلقى أيام العطل.

3- **علم الحديث:** باعتماد صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك ويؤكد ذلك محمد بن علي السنوسي بقوله :(قرأت على ابن العباس بن أحمد بن هني وسمعت عليه مجالس عن البخاري ومثلها من مسلم والموطأ) .

ب- العلوم اللغوية: أهمها النحو العربي وحفظ المنظومات وشرحها: عكف شيوخ المدرسة على تدريس وتحفيظ منظومة ألفية بن مالك والأجرومية على غرار الزوايا الفقهية المنتشرة لما لهما دور في عملية التعلم وعلاقة النحو بالعلوم الدينية الأخرى كالتفسير والبلاغة والفقه والحديث.

ويُعَدُّ ابتداء العلماء والشيوخ في النظم النحوي ارتيادا لطريق نحوَ أسلوبٍ جديد لتعليم النحو كان له آثار بعيدة المدى فيه أهمها تنشيط الحركة العلمية؛ إذ كثر إقبال طلاب العلم على حفظه؛ لأن النظم أسهل حفظا وأيسر استحضارا وأكثر رواجا من النثر؛ لما فيه من الأوزان المستحبة والموسيقى المستعذبة، وهذا يدل على مدى الجهد الكبير الذي بذله هؤلاء العلماء في سبيل خدمة لغة القرآن، وذلك بتيسير معرفة القواعد النحوية وتسهيل تعلمها للطلبة في مدرسة مازونة الفقهية.

إن حفظ وفهم وتعلم المنظومات التعليمية مهم للطالب المتعلم لأنها وسيلة تُسَهِّل على المتعلم حفظ ما يَتعلَّمه، فتُمكِّنَهُ المنظومةُ من الإلمام بالقواعد، وتُيَسِّر له فهم نصوص الفصحى، وتُعَوِّد لسانه التحدث بها، فالنظم طريقة مثلى لتدريس العلوم وبخاصة علوم العربية وما يتعلق بها، لأن حفظ القاعدة هي الوسيلة المُثْلَى للابتعاد عن اللحن والخطإ والتعبير بلغة فصحى سليمة.

ب-طرائق التدريس ووسائلها بالمدرسة:

1- الطريقة الإلقائية: كانت تعقد الحلقة العلمية في قاعة الصلاة بالمسجد التابع للمدرسة حيث يجلس الشيخ على كرسيه الخشبي المرتفع وذلك حتى ينظر جميع الطلبة وينظرون إليه كدلالة رمزية على التحكم في نظام الحلقة، ومراقبة سلوكات جميع الطلبة ولفت انتباههم وكان الطلبة يتحلقون حوله متربعين في جلستهم على الحصير وتبدأ العملية التعليمية بأن يأمر الشيخ أحد طلبته بقراءة نص من الكتاب الذي هم بصدد دراسته، وهذا النص هو ما سيشكل موضوع الحلقة العلمية يسعى الطالب الذي يقرأ النص بالدوان، وكان لكل شيخ دوان خاص به وبعد أن يتم الدوان قراءة النص يبدأ الشيخ في شرحه والإجابة والتفسير معتمدا في تلقينه ذلك على محفوظه من الشروح والحواشي الموضوعية حول النص دون أن يبدي رأيه حول الموضوع.

هذه هي الطريقة الإلقائية التقليدية التي يلجأ إليها الشيوخ لإثارة دافعية الطلبة وتشويقهم إلى الدرس، إضافة إلى أنها تكسبهم معلومات ومعارف كثيرة في وقت قصير.

عند انتهاء الشيخ من الشرح يتدخل الطلبة الذين أشكل عليهم الدرس طالبين تفسيرات حول بعض المسائل وتبدأ بذلك الطريقة الجدلية القائمة على النقاش وقد انتهج الشيوخ لإنجاح هذه الطريقة أسلوب الجد والهزل للترويح عن النفس وترسيخ الفهم.

ساهمت هذه الطريقة في إيجاد عملية التفاعل بين الشيوخ والطلبة وبين الطلبة فيما بينهم وأصبح بذلك الطالب عنصرا إيجابيا في المشاركة في سير العملية التعليمية.

2- طريقة المراجعة: ترسيخا لموضوع الحلقة العلمية اعتمدت المدرسة على طريقة المراجعة أو المذاكرة الجماعية وذلك بأن يقوم الطلبة المتقدمون في الدراسة بإعادة شرح النص وتدارسه مع الطلبة الجدد الذين هم بصدد قراءة هذا النص.

تعتبر هذه الطريقة من أكثر الطرق كفاءة خصوصا عندما يتمكن الطلبة من مساعدة بعضهم البعض، وقد وفرت هذه الطريقة أيضا فرصا للطلبة المتفوقين لتدعيم تعلمهم عن طريق مساعدة غيرهم ولذلك أطلق عليها التعليم المتبادل.

ج- وسائل التدريس:

- **الأدوات:** اعتمدت المدرسة الوسائل التقليدية فقد كان الطلبة يسجلون دروسهم على لوحاتهم الخشبية التي هي وسيلة ضرورية في عملية التعلم يجب توفرها لدى كل متعلم من أجل كتابة النصوص ومراجعتها لحفظها.
- **أوقات التدريس:** أما فيما يخص أوقات التدريس فقد ارتبطت بالواجبات الدينية أي حسب مواقيت الصلاة اليومية وذلك على النحو التالي:
  - بعد صلاة الصبح قراءة الأوراد للطريقة التيجانية وتبدأ بعد ذلك مباشرة عملية التدريس حتى وقت الضحى ونلمس هنا نوعا من التركيز على الإبكار في العملية التعليمية وذلك لما لها من فاعلية في ترسيخ الأفكار وتهيئة الأذهان لقبولها واستيعابها إضافة إلى قدسيتها الدينية وذلك لخبر بورك لأمتي في بكورها.
  - الدرس الثاني إلى غاية الظهيرة، بعد صلاة الظهر قراءة الراتب وذلك ترسيخا لحفظ القرآن الكريم.
  - الدرس الثالث بعد صلاة العصر.
  - بعد صلاة المغرب المذاكرة الجماعية.

3-العطل: لم يكن الموسم الدراسي للمدرسة محددا بزمن معين وإنما كان يتم في العادة في مستهل فصل الشتاء ويستمر حتى بداية فصل الصيف مع إمكانية بقاء الطلبة المسافرون (الداخليون) في بيوتهم بالمدرسة أيام العطل يتدارسون فيما بينهم دروسا في علم التوحيد والنحو العربي وتعليم بعض العائلات في ضواحي مدينة مازونة، وكانت العطل موزعة كالآتي:

-العطلة الأسبوعية يومي الخميس والجمعة وهذا ما يعني أن أيام التدريس تستغرق خمسة أيام.

- العطل الموسمية خاضعة لتحديات الشيخ المشرف على عملية التدريس.

- العطل السنوية تتمثل خاصة في عطلة الصيف التي تستمر إلى الخريف.

- العطل الدينية وهي العطل التي تتعلق بالأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء وأول محرم والمولد النبوي.

د- شروط الالتحاق بالمدرسة: كان للمدرسة نظام داخلي وقانون يحدد شروط القبول في المدرسة، تكاد تكون هي نفسها الشروط المعتمدة في المدرسة النظامية الجزائرية الحديثة، وكذا معاهد التعليم القرآني الجزائري، ومن هذه الشروط:

- أن يكون الطالب قد تمكن من حفظ القرآن الكريم وما يتطلبه من تعلم القرآن والكتابة وقواعد الدين وهو ما يعني أن الطالب الذي يلتحق بالمدرسة يكون قد مر على المرحلة الابتدائية في الكتاتيب وبالتالي كانت مدرسة مازونة تمثل مرحلة للتعليم الثانوي وعليه كانت أعمار الطلبة بين الخامسة عشر والثلاثين.
- أن يهتم الطالب بنظافة جسمه وثوبه فلا يدخل على شيخه إلا بأحسن الهيئات وكامل الطهارات وبهندام موحد ولائق، فمثلا لا يسمح لأي طالب حضور حلقة الدرس دون عمامة.
- ألا يتأخر الطالب عن الدرس ولا يدخل دون استئذان من الشيخ وألا يتكلم في حضرته إلا بإذنه.
- أن يراجع الطلبة بعضهم بعضا تطبيقا لطريقة التعليم المتبادل السالفة الذكر.
- أن يمنح الطالب على اجتهاده في دروسه إجازة بالعلوم التي اجتاز بها مرحلة معينة تؤهله الجلوس للتدريس، وهو ما يعرف في المدارس النظامية اليوم بشهادات النجاح.

هـ- مكتبة المدرسة:

شكلت المكتبة في وجودها أحد عوامل نجاح العملية التعليمية بالمدرسة فقد وجدت منذ البدايات الأولى لمباشرة وظيفتها التعليمية.

يقول G.H Bousquet في دراسة الوضعية الفقهية للمدرسة: "إنها (المدرسة) قد احتوت على مكتبة هامة شملت مخطوطات رائعة منها ما هو موقوف وبعضها هبات من البايات أثناء العهد العثماني بالإضافة إلى بعض التآليف الخاصة بالمشايخ".

خامسا- مساهمات مدرسة مازونة في عملية التكوين ونشر التعليم بالمنطقة:

تخرج من مدرسة مازونة خلال مرحلة الدراسة وخاصة في الفترة الممتدة بين 1930- 1942 التي اعتبرناها امتداد لنشاطها وازدهارها وهي كذلك آخر محطة من محطات ازدهار المدرسة قبل أن يأفل

نجمها عدد كبير من الطلبة تحولوا بدورهم إلى شيوخ فتحوا مدارس قرآنية في مدنهم وبين أهاليهم عبر مناطق مختلفة من الوطن وفي منطقة حوض الشلف مساهمين بذلك في نشر التعليم العربي الحر.

هكذا ومن خلال خريجيها تمكنت مدرسة مازونة من أن تضع لوجودها أسلوبا آخر في عملية الاستمرار، وأكثر من ذلك شكل هذا النوع من الإنتاج امتدادا جغرافيا وزمنيا عبر بطريقة أو بأخرى عن مدى فاعلية العملية التعليمية للمدرسة، وبالتالي المساهمة في نشر التعليم العربي الحر كما ساهمت بشكل آخر في إيجاد قوى أخرى من قوى المعارضة للاستعمار بالإضافة إلى المحافظة على الإرث الثقافي ومن خلاله الهوية الدينية والشخصية الوطنية.

خاتمة:

رغم الهزات والحوادث والعوائق التي تعرضت لها المدينة عبر العصور إلا أن المدرسة بقيت تستقطب جموع العلماء والطلبة من أنحاء الوطن وحتى خارجه، فلقد اعتنى أهل مازونة كغيرهم في ناحية المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامة بالعلوم الدينية بمختلف فروعها، إذ كان الفقه الإسلامي أساس هذه العلوم المعتنى لها، فقد جرى الاعتناء به والعمل على الإفتاء في المسائل اليومية، كما زاد الاهتمام بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتدارس أحكامه ومعانيه والأحاديث النبوية الشريفة، والبحث في مسائل الأصول، كما اهتم علماء حاضرة مازونة بتفسير القرآن الكريم، وبعض علوم القرآن وفي مقدمتها القراءات، وبرزت التآليف المتعددة حول مناقب أولياء الله الصالحين وأحوال العارفين وأضحت المدرسة فضاء للتصوف ومنها كان انطلاق ومبتدأ بعض الطرق الصوفية واشتهرت بالفقه المالكي والتأليف في فقه النوازل.

تعتبر الحواضر الثقافية في حوض الشلف من أشهر الحواضر العلمية في القطر الجزائري، وهي ذات شهرة مغاربية باعتبارها من أهم المؤسسات التعليمية في تحصيل المعارف ونيلها، وتخريج أفضل العلماء وحاملي الفكر والأدب في الجزائر والمغرب الأقصى، نالت بذلك مرتبة عالية نظرا لعطائها ودورها في نشر العلوم العقلية والنقلية على اختلاف تخصصاتها.

وقد أعطت هذه الحواضر الثقافية "مجاجة ومليانة ومازونة" دفعا جديدا للحركة العلمية والثقافية في المغرب الإسلامي قاطبة، فأصبحت بذلك إشعاعا ثقافيا ومعلما حضاريا ساهم في غرس القيم والأخلاق، وتكوين أجيال من أفراد المجتمع الجزائري، تكوينا روحيا وثقافيا وأيديولوجيا، حيث تخرج منها كبار العلماء والفقهاء والأدباء الذين كرسوا حياتهم للعلم تعلما وتعليما حتى بلغت شهرتهم عنان السماء، وذاع صيتهم في مشارق البلاد ومغاربها أمثال الشيخ العلامة محمد بن علي المجاجي، والشيخ أحمد بن يوسف الملياني، والشيخ أبو طالب المازوني... وغيرهم من الأعلام.

فحاضرة مازونة تعتبر من الحواضر العلمية التي كان لها وقعها وأثرها الإيجابي على الحياة الثقافية والعلمية داخليا وإسلاميا وعربيا، حيث شهدت إقبالا طلابيا منقطع النظير من مختلف البقاع، وكان لها الدور الفعال في القضاء على الأمية ونشر العلم والثقافة في كامل أرجاء الوطن، ويشهد لهذا ما قاله الرحالة الألماني "فيلهلم شيمبرا" أثناء زيارته الجزائر في ديسمبر 1831، يقول: "بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أني لم أعثر عليه، في حين أني وجدته في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد المجتمع"، فكانت هذه شهادة من هذا الرحالة الألماني عن علو المستوى الثقافي في الجزائر خلال فترة الجزائر العثمانية. تصدقه إحصاءات الفرنسيين أنفسهم عند احتلالهم للجزائر حيث قدرت نسبة الأمية في الجزائر حوالي 5% فقط عام 1830م.

المنهاج الدراسي وأثره في التحصيل بين الحواضر العلمية والجامعات الإسلامية المعاصرة

المحور الثاني: المناهج التعليمية في الحواضر العلمية الأساسية.

بقلم الدكتور: هارون الرشيد بن موسى مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (الجزائر)

بقلم الدكتور: هارون الرشيد بن موسى مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (الجزائر)